الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بوجود الملائكة حقيقة واقعة، والإيمان بأن الله وكل إليهم فى العالم أدوارًا يقومون بها ويتصرفون فيها بإذنه، إن ذلك من أصول الإيمان ومن أجل أنه من أصول الإيمان الإسلامى، نزيد الأمر وضوحًا.

عن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه الإمام البخارى قال:

كان النبى صلى الله عليه وسلم، بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟

قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث.

لقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الصحيح الإيمان بالملائكة جزءًا من الإيمان.

والقرآن الكريم يتحدث عن الملائكة فى كثير من سوره وآياته، يقول تعالى:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، تتنزل عليهم الملائكة ألا

تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾. (فصلت آية: ٣٠ - ٣١).

إن القرآن الكريم، يرشد فى هذه الآية إلى أن الملائكة تنزل نزولاً حقيقيًا تبشر هؤلاء الذين آمنوا واستقاموا بعدم الخوف وعدم الحزن، وتبشرهم بالجنة وتؤكد لهم أنها معهم بالمرافقة والرعاية والعناية فى الدنيا والآخرة وفى هذا المعنى يقول الإمام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال عن تجربة:

ومن أول الطريق (الطريق الصوفى) تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد.

وإذا كانوا ينزلون على المؤمنين المستقيمين، فهم من باب أولى ينزلون على الأنبياء والرسل مبشرين ومؤانسين ومؤيدين.

وهاهو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى جبريل يقظة، ومماهو معروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يناجى الملائكة، وكان لا يأكل البصل والثوم. من أجل ذلك يقول ابن خلدون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك:

«إنه بجبلته يتنزه عن المطعومات المستكرهة، فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقيل له فى ذلك، فقال: إنى أناجى من لا تناجون.

ومن الطريف الجميل الغريب، ما حدث من محاولة السيدة خديجة رضوان الله عليها فى أول بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من عمل تجارب على الملائكة لتتثبت من أنهم ملائكة حقا:

لقد أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. بإتيان الملك وعرفها بالوحى، وأن الملك يأتيه حتى وهى معه فى البيت فقالت: أخبرنى به حينما يأتى، وأخبرها حينما حضر.

فقالت: اجعلنى بينك وبين ثوبك، فلما فعل ذلك ذهب عنه.

فقالت: رضوان الله عنها: إنه ملك وليس بشيطان، ومعناه - كما يقول ابن خلدون - أنه لا يقرب النساء.

وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه التى يأتيه فيها.. فقال: البياض والخضرة فقالت: إنه الملك..

ويقول ابن خلدون فى ذلك: يعنى أن البياض والخضرة من ألوان الخير والملائكة، والسواد من ألوان الشر والشياطين.

خلق الله الملائكة قبل خلق الإنسان، وعن خلق الإنسان سنبدأ إن شاء الله الحديث.

* * *

تبينا مما سبق أن الخلق: الماء والعرش والملائكة والجن والأرض والسماء، كل ذلك كان قبل خلق الإنسان.

إن قصة خلق الإنسان، وما أحاط بها من ظروف فيها عظات وعبر يجب ألا نمر عليها غافلين.

من قبل الخلق، وحينما كان فى تقدير العزيز العليم، أن خلق آدم على وشك التحقيق، خاطب الله الملائكة قائلاً:

﴿إنى خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون﴾.

وبين لهم وظيفته وعمله فقال سبحانه:

﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾.

لقد أخبرهم الله بذلك، كما يعلن عن الأمر العظيم قبل حدوثه.

وما من شك فى أن خلق الإنسان أمر هائل وحدث ضخم، له حكمته ولم يكن الملائكة يتوقعون ذلك، ولم يكونوا ينتظرونه، إنهم كانوا يرون أنهم يسبحون لله ويعبدونه لا يفترون، وأنهم لا يعصونه سبحانه فيما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ولم يدر بخلدهم أن الكون دون الإنسان كان ناقصًا، وأنه لابد لكماله من وجود الإنسان.

ولقد نبهتهم كلمة.. من صلصال من حمأ مسنون-والصلصال هو الطين والحمأ هو المتغير منه الشديد السواد من طول مجاورته للماء، والمسنون هو المصور، أو المصبوب مثله مثل الجواهر المذابة تصب فى القوالب.. ونبهتهم أيضًا كلمة (فى الأرض) إلى طبيعة هذا الكائن الذى يوشك الله سبحانه أن يحقق وجوده. لقد نبهتهم هذه الكلمات إلى أن طبيعة هذا الكائن وفطرته

ليست نورًا بحتًا كطبيعتهم وفطرتهم.

وما من شك فى أنهم عرفوا بصورة سهلة أن هذا الكائن يمكنه - بجهد متواصل - التغلب على الطبيعة الطينية فيسمو فى منازل الأرواح، بيد أنه فى الأكثر الأعم، ستغلب هذه الطبيعة فتنزل به إلى مستوى تتفاوت درجاته ولكنه مستوى دون مستوى الملائكة.

وتصور الملائكة ما سيحدث من هذه المستويات التى تغلبت عليها الطبيعة الطينية من تنافس غير شريف، ومن تناحر وتنازع فقالوا سائلين عن وجه الحكمة مستفسرين عما عزب عنهم من حكمة الله لا معترضين ولا محتجين:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟».

ثم بينوا من طبيعتهم ما الله أعلم به قائلين:

﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.

أى أننا ننزهك، ونحمدك، ونقدسك على أن يعصيك منا أحد.

فلم يوضح سبحانه وتعالى لهم الحكمة فى خلق الإنسان، وأخر سبحانه قوله الحاسم الذى سيفهمهم إياه بطريق عملى، وإنما أجابهم سبحانه بقوله الحاسم الذى يسد الطريق أمام كل تساؤل:

﴿إنى أعلم مالا تعلمون﴾.